

الانتخاب

تأليف

المرحوم السيد عبد الله جمال الدين أفندى

قاضى قضاة مصر

عربه عن التركية

اصمعي

باذن من المرحوم وبرخصة من ورثته

مطبعة الترقى بشارع عبد العزيز بمصر

سنة ١٣١٨

﴿ مترجم عن الاصل التركى ﴾

الى ولدنا اصمعى افندى

قد اذنّاكم بتعريب كتاب « الاحتجاب » تأليف صهرنا المرحوم عبدالله جمال الدين افندى قاضى قضاة مصر كما اذنّاكم بنشره ووضع اسمه رحمه الله عليه لتعميم فائدته بين اخواننا المسلمين ونحن شاكرون لكم وقادرون خدمتكم هذه حق قدرها والله تعالى نسأل أن يوفقكم لما فيه الخير آمين

الداعى

حمو المرحوم عبد الله جمال الدين

الشيخ عبد الله

نقيب اشراف رودس

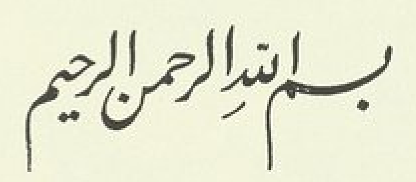
مقدمة المعرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين ؛ اما بعد فانه لما ظهر كتاب تحرير المرأة من نحو عامين وكثر اللغط بشأنه والحديث بما ورد فيه مختصاً بالحجاب والاختلاط خفنا ان ينتشر ما فيه من الافكار فى بعض الاقطار الاسلامية فيأخذون بظاهرها ولما كان اخواننا الاتراك أشد الناس احتراماً لعلماء مصر واحسنهم فيهم اعتقاداً حتى انهم يقدسون كلامهم كما يقدسون قول كل عالم فقيه ارتبط بالدين الشريف خفنا كذلك ان حسن ظنهم فى علماء مصر ربما ادى للأخذ بكل ما يقال فى مصر ولذلك توسلنا الى المرحوم قاضى قضاة مصر

السابق الشيخ جمال الدين افندى لما له من المكانة لدى سكان
دار الخلافة وسعة الاطلاع فى العلوم الدينية والعفة والورع
والاخذ بما فى كتاب الله وغير ذلك من الفضائل التى يعرفها له
كل من خالطه وجالسه فى ان يتصفح الكتاب المذكور ويبدى
رأيه فيه من الوجهة الدينية وان يكتب عليه ما شاء باللغة التركية
حتى اذا كان رأيه موافقاً لما فى الكتاب حضهم على الاخذ بما
فيه والاهتداء الى الحكم الشرعى المستنبط من الكتاب والسنة
حتى لا يجوز على عقلهم غيره فقبل رحمه الله ذلك منى ولما قرأ
الكتاب الف باللغة التركية رسالة كلفنى بطبعها وتعريبها لتتم
فائدتها وقد طبعت الرسالة فى حياته رضوان الله عليه بمطبعة
الترقي بمصر باسم (احتجاب) ووزع منها مقدار عظيم فى البلاد
الاسلامية عموماً والتركية خصوصاً وها انا ذا اليوم انشرها معربة
حسب اشارة المرحوم ووصيته وباذن مجدد من ورثته والله
أسأل ان يعلى كلمته ويؤيد حجته انه سميع مجيب   اصمعى

مقدمة المؤلف



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه اجمعين . اما بعد فاعلم ان العلم باحكام الدين والجهل بها هما سببان عظيمان لقوة الدين او ضعفه . ولذا كلما تستنير اذهان المسلمين بأنوار حقايق الدين ينغرس فى النفوس روح القيام بأوامره ونواهيه وتطمئن القلوب للتمسك بأحكام الشريعة المطهرة . وبالعكس كلما تغلب الجهل فى علم الدين افضى للشقاق والاختلاف والاستخفاف بالدين . وهكذا الحال فى زماننا حيث نرى الناس يتدرجون من مسألة لاخرى فى الانحراف عن الصراط المستقيم المؤدى لسعادة الدارين .. ومن هذا القبيل ما وصل اليه من نساء المسلمين من الاستخفاف بأمر التستر والحجاب . بحيث اذا غض النظر عن ارجاعهن من

ضلالتهن الى حظيرة الشريعة وآدابها اصبح الامر فوضى والفساد
عاماً وندم الناس ولات حين ندم . ولذلك مع اعترافي بالعجز
والقصور كانت تحدثني نفسي بوضع رسالة عن نساء الاسلام
اثبت فيها ما يفتح الله عليّ به من الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر . ولكن اتفق انى اطلعت على بعض رسائل بنيت
ويا للأسف على مقدمات فاسدة مثل دعوى أن اسباب تأخر
الاسلام فى الترقى العصرى والمدنية هو بقاء نساء الاسلام
أسيرات فى ايدى الرجال المتحكمين عليهن وعدم خلاصهن من
قيود التستر والحجاب . فزادنى ذلك رغبة فى اخراج تصورى
السابق الى حيز الفعل ووضعت هذه الرسالة طالباً من الله عز
وجل ان يوفقنى لما فيه الخير والصلاح العام وان ينتفع بها
اخوانى المسلمون والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

فأقول : ان الله تعالى خلق الحيوان ذكراً وانثى لبقاء
النوع وجعله مطبوعاً على الشهوة لحب التناسل واختص الانثى
بمتاعب كالحبل والولادة والارضاع والحضانة وهكذا . . .
فكانت ضعيفة المزاج والقوى والجسم وكان ذلك داعياً لافتقارها

الى حماية الذكور الذين فطروا على حماية أُناثهم الشريكة لهم في حياتهم والغيرة عليها لانها الواسطة لبقاء النوع لا فرق في ذلك بين ذى الزوجة الواحدة مثل الحمام واليمام وذوى الزوجات المتعددة مثل الديك والفرس . هـذا امر مشاهد للعيان فان من تأمل فى جميع انواع الحيوان وجد الذكور اقوى من اناثها واشد غيرة منها كما يرى ان الاناث تعيش فى حمى الذكور وتحت كنفهم فالديك مثلاً تراه يكون له شبه عائلة مركبة من خمس دجاجات مثلاً واذا دخل عليه ديك آخر غضب غضباً شديداً وهاج وثار او اذا أُلقى بين دجاجاته فرخ غريب منها ادرك انه ليس منه فيطرده وهذه غريزة جبلية فى الحيوانات فطرها الله عليها . وحيث ان الله قد فضل الانسان على الحيوانات لما وهبه من العقل وسمو الادراك فقد جعله صالحاً لان يكون ذا زوجة واحدة او زوجات وهداه الى ان يستعمل عقله فى بقاء نسله وحفظ نسبه وامر معاشه ومعاشرته فلا يقاس فى ذلك بالحيوانات الاخرى . ولذا جعل الله نظاماً خاصاً للانسان فى قيامه بشؤون حياته ومقتضيات اصل خلقته البشرية . وهذا

النظام هو سبب تولد افراد من فرد وجميات من افرادوقبائل من الجمعيات وهو سبب لحصول الحياة الاجتماعية للامم . وهذه سنة الله فى خلقه لم تتغير منذ خلق البشر الى يومنا هذا ولن تتغير ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فالانسان مثلاً اذابلغ الحلم او الرشد رأى استحالة بقائه منفرداً فيضطر الى الاستئناس بغيره . فيبحث عن شريكة له فى حياته تكون معينة له على قضاء حاجاته البشرية ليكون له منها الذرية التى هى فرع الاصل وجزء الكل ويتزوجها ويصبح اذن رب بيت

ولو اريد تقسيم الاعمال المعاشية بين النوعين الذكر والانثى وراعينا فى ذلك قوة الاول وضعف الثانية لكان نصيب الرجل طبعاً الاشتغال بتحصيل المعيشة من الخارج ووظيفة المرأة الاعمال الخفيفة فى داخل البيت مثل التنظيف والطبخ والخياطة . وهذه الروابط الموجودة بين الزوجين هى ثمرة الاشتراك الطبيعى . ولذا كلما زادت الاولاد زادت متاعب الرجل ووظيفته فى الخارج كما تزيد وظيفة المرأة فى الداخل . ويجتهد الرجل لاستجلاب حاجاته بالكد من مسكن وملبس

وما كل سواء كان باشتغاله بالزراعة او التجارة او الصناعة او ما يماثل هذه الاعمال فى الكسب والتعب . والمرأة أيضاً عندها ما يشغلها فانها حسب اللزوم تطبخ الطبخ وتهيئه للأكل وتفصل وتخيط وتخدم الاولاد وتربيهم التربية اللازمة لهم فى سن الطفولية وتنظف المسكن والملابس . والحاصل انها تعمل الاعمال الداخلية الموجبة لراحة البيت وسعادة حال العائلة . ومما لا ريب فيه ان الرجل لو ترك اشغاله الخارجية واهمل البحث عن وسائل تعيشه وعائلته ولازم البيت او ان المرأة لو تركت امور بيتها وامضت اوقاتها فى الخارج يختل بدون شك هذا النظام وتقوض دعائمه . وكذلك اذا كان الزوج والزوجة لا يحافظان على رابطة اختصاص كل منهما بالآخر ويعيش الذكور والاناث مختلطين لا يمكن خلاص الانسان من شوائب الريبة . فيختل النظام وتنعدم بينهما الروابط المعنوية مثل المحبة والمودة . وكما انه من المشاهد ان جميع ذكور الحيوانات اقوى من اناثها كذلك الحال فى النوع الانسانى . والقول بان الذكور هم اقوياء بسبب انهم مشغولون منذ اجيال

بعيدة بالاعمال البدنية والفكرية وان الاناث بقين ضعيفات
لسبب حرمانهن من هذه الاعمال فيه نظر لكونه مبنياً على
قول باطل لان الذكور والاناث يحصلون فى ابتداء الخلقة من
نطفة الرجل القوى ومن ماء المرأة الضعيفة وثابت ايضاً فى
الطب ان اعضاء المرأة ووظائفها ضعيفة بالنسبة للرجل . وكتب
الحكيم المشهور الرشيدى فى كتابه « بهجة الرؤساء » كلاماً
مفصلاً فى مبحث أمراض النساء فقال : ان النساء بالنسبة الى
الرجال باعتبار المجموع العصبي والمجموع العضلى والمجموع
الدموى نحيفات قليلات البروز وقليلات المتانة وضيقات
العروق ويختلف جلد النساء عن جلد الرجال فى النعومة ورقة
النسيج ويوجد فرق عظيم بين النوعين فى الاعمال والوظائف.
والصوت فى النساء لين بسبب ضيق الحنجرة والشدة فى
وظائف التنفس والهضم فيهن أقل والافرازات قليلة والمجموع
المخي فيهن مختلف بالنسبة للرجال ولذا كانت قواهن العقلية ايضاً
ضعيفة بالنسبة لهم نظراً للأحوال الخصوصية التى هن معرضات
لها كالطوارئ الشاقة التى تضعف القوى كالحيض والحمل

والولادة وتربيـة الاولاد مـع نقصان خلقتهن فمن تدبر هذا يتحقق بداهة انهن لا يمكن ان يماثلن الرجال فى الاعمال

واما من جهة الاحكام الدينية فقال الله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » وفسر المفسرون هذه الآية بأن قيام الرجال على النساء مثل قيام الولاة على الرعية فى الامر وفى النهى . وكلمة «قوامون» وردت بصيغة المبالغة ومعناها حافظ الشيء وناظره وقد استنبط ائمة الدين من هذه الآية الكريمة كثيراً من الاحكام المتعلقة بحقوق الزوجية

علل الله تعالى فضل الرجال على النساء فى هـذه الآية الكريمة بأمرين احدهما وهبي والآخر كسبي . اما وجه الفضل الوهبي فهو ان الانبياء والخلفاء والسـلاطين والحكام والائمة والغزاة هم من الرجال ولهم الفضل على النساء فى كونهم اصحاب الحزم والقوة والفروسية ورمى السهام والشهادة والجمعة والجماعة وزيادة النصيب فى الميراث وغيرها . واما وجه الفضل فى الوجه الكسبي بأشياء وردت فى كتاب الله مثل المهر والنفقة . وقد ورد

كثير من الاحاديث الشريفة فى هذا الخصوص منها ما جاء فى سنن ابى داود مروياً عن سيدنا عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما رأيت من ناقصات عقل ودين اغلب لذى لب منكن » فقالت امرأة منهن جزلة : وما نقصان العقل والدين ؟ قال اما نقصان العقل فان شهادة امرأتين بشهادة رجل واما نقصان الدين فان احداكن تفطر رمضان وتمكث اياماً لا تصلى . والحديث الشريف الوارد فى البخارى ومسلم مروياً عن ابى سعيد الخدرى قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن ، قلنا وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ قال أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟ قلن بلى ، قال فذلك من نقصان عقلها ، وقال أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها » وورد فى البخارى ومسلم مروياً عن ابى هريرة رضى الله عنه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وان ذهبت

تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » وحيث ان النساء مخلوقات
من الضلع المعوج وان أراد الانسان تقويمها انكسرت
والانكسار هو بالطلاق وجب على الرجال ان يعاملوهن بغاية
اللطف واللين وهذا يؤيده ما ورد من الاحاديث الشريفة
الحاثة على ذلك فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « استوصوا
بالنساء خيراً » بمعنى الطلب اى انى اوصيكم فى حق النساء بالخير
أو فليوصِ بعضكم بعضاً فى حق النساء خيراً « فان المرأة
خلقت من ضلع » وقال الله تعالى « خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها » اي خلق حواء من آدم عليه السلام
اما تشبيه النساء بالضلع فهو اشارة الى اعوجاج اخلاقهن وعدم
امكان استقامتها . وهذا الحديث ورد لاجل التنبيه على ملاطفة
النساء والصبر على أحوالهن الناشئة من عدم استقامة الاخلاق
وحيث انهن خلقن بهذه الصفة فقد لا تفيد النصيحة
لهن ولذا يلزم الصبر والمحاسنة وعدم الخشونة معهن . روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما « رأيت النار فاذا اكثر اهلها
النساء يكفرن قيل يا رسول الله أيكفرن بالله قال يكفرن

العشير ويكفرن الاحسان ولو أحسنت لاحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط » وحيث إنهن بنشأن بالنسبة الى الرجال ضعيفات فهن يستعملن ما يستعمله كل ضعيف من المكر والخداع والحيلة لاجل الوصول الى اغراضهن . وقد ورد فى البخارى « ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء » وورد فى مسلم مروياً عن ابن عمر رضى الله عنهما « فاتقوا الدنيا فاتقوا النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » ويفهم من هذه الاحاديث الشريفة انهن مائلات للفتنة

واما منشأ ضعف قواهن العقلية فهو ضعف اعصابهن ، فلضيق صدرهن تراهن غير قادرات على الصبر على تحمل المتاعب والمشقات ولذا يشتكين من الاشياء البسيطة ومن سماع الكلام لاول وهلة ينفعلن فيغفلن عن ملاحظة الصواب . ولا شك ان هذه الحالات تشهد بأنهن ضيقات الخلق وناقصات الدين والعقل ؟ وبالنظر لهذا الاختلاف الواقع بين النوعين جسماً وعقلاً وخلقاً . لا يكون النساء مساويات للرجال . ولو كان

يجوز ان يختلطن مع الرجال حاسرات مبتذلات وان يشتغلن مع الرجال بالبيع والشراء والقضاء والمحاماة ويسافرن بدون محرم ويقمن باعمال الرجال ويشتغلن فى وظائف الحكومات والمشاورة فى الامور المهمة لكانت الشرائع المنزلة والحكماء والعقلاء من يوم الخلقة الى الآن ترشد الخلق الى ذلك . على اننا نرى الامر بالعكس فان الاطباء والحكماء متفقون على ضعف النساء خلقاً وخلقاً كما ان الشرائع السماوية قد خصصت لكل من النوعين وظيفة مخصوصة وعملاً مخصوصاً وجعلت لكل منهما حداً لا يتعداه لما هو معلوم من انهن لو تركن وشأنهن لحصل الفساد وانفصمت عرى الارتباط واختلطت الانساب وعمت البلوى ولقد راعت ذلك شريعتنا المطهرة ففضلت الرجال على النساء كما ورد فى الآية الكريمة « الرجال قوامون على النساء » فان هذه الآية تفيد ان الرجال قوامون عليهن فى الامر والنهى لكون قواهم العقلية اكمل . وكذلك اوجبت شريعتنا على الرجال النفقة على النساء لما خصهم به من تحمل المشاق والصبر على العناء لكسب العيش . ونظراً لكونهن منوطات

بحفظ وصون النسب ولكونهن خصوصاً مطمح نظر الرجال ومحلاً لشهوتهم فلاجل سد باب الفتنة وكف دواعي الشهوة منهن من الاختلاط بالرجال . ولكي يستغنين عن الخروج من بيوتهن الزمت الشريعة الرجال بنفقات السكنى ولوازمها وحثت السنة النبوية على ملازمة النساء بيوتهن وامرتهن بالاحتجاب ورغبتهن فيه . حتى جعلت صلاتهن فى بيوتهن افضل من الصلاة فى المسجد . وكذلك جعل امر الطلاق فى الاصل بيد الرجال لاجل عدم تطليقهن انفسهن لادنى سبب ثم يندمن حيث انهن قليلات الصبر وسريعات الانفعال . ولا لزوم لزيادة التفصيل فى هذه المقدمة لان ما أوردناه يكفي لتنبيه الفكر الى معرفة الاحوال الخصوصية للرجال والنساء ولذا نبتدئ ببيان تربية النساء :

التربية

عرف بعضهم التربية الصحيحة بانها تنمية اعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته الى بلوغه حد الكبر وتنمية روحه

بالمعارف الدينية والمعاشية فبهذا انقسمت التربية الى قسمين :
حسية وهى تربية الجسد ومعنويةوهى تربية الروح ومع ذلك
فان لتغذية الطفل ثلاثة انواع من الغذاء مختلفة الموضوع
الاولى تغذية المراضع للاطفال بالالبان . الثانية تغذيتهم بارشاد
المرشدوذلك بتأديبه الأوّلى للاطفال وتهذيب اخلاقهم وتعويدهم
على التطبع بالطباع الحميدة والآداب الكاملة والاخلاق الفاضلة
الثالثة تغذيته لعقولهم بتعليم المعارف والكمالات وهذه وظيفة
الاستاذ المربى كما ان ما قبلها وظيفة المرشد المتولى امر الصبي .
فالنسبة بين الرضاع والتربية الاولية والتربية النهائيـة كالنسبة
بين المرضع والمربى والاستاذ فكلما احسن المربى جادت
التربية . ومسألة التربية يلزم ان يعتنى فى مراتبها الثلاث

فيلزم ان تكون التربية على حسب الاصول والاداب
ويلزم ان يكون المربى او الاستاذ يحب من يربيه ومن هـذه
التربية ينشأ الطفل على هيئة ثابتة ويحصل على ملكة فى طبعه .
واما القصد من التربية المعنوية فهو ايجاد الملكة فى الاطفـال
لتخلقهم بالاخلاق الجميلة وبكيفية مألوفة حسنة وحصول الافعال

جميلة محمودة شرعاً وعقلاً

ومثل تنمية عقول الاطفال فى تغذيتها بالعلم والمعارف مثل
تغذية اجسامهم بالاطعمة المناسبة لسنهم ولقابليتهم وبحسن
تربية الاطفال الذكور والاناث وتخلقهم بالاخلاق الحميدة
وبالافكار الجيدة تحصل التربية المحمودة والاخلاق الحسنة فى
الجمعية القومية ويترتب على ذلك سعادة الامة الناشئة على ذلك

واما سوء التربية فهو ضد هذا ونتيجته انتشار فساد الاخلاق
وارتكاب المحرمات وهتك الحرمات والانهماك فى الشهوات
وكثرة الرذائل فى الجمعية الملية ونتيجته الاضمحلال وينبغى التنبيه
على ان المرضع والوالدة والولى والمرشد والاستاذ يجب ان
يكونوا قدوة للاولاد فيما يريدون انطباعهم عليه من التخلق
بالاخلاق الحسنة واذا كانوا بعكس ذلك يضرون بالاطفال ومن
هذا ان الوالدة يلزم ان تكون متصفة بحسن الاخلاق حتى
تربى اولادها التربية الحسنة . نعم ان الادب هو أليق بالتربية
واهم فى حسن التأثير ولكن المرأة هى صاحبة الدار وحاضنة
الاولاد ولذا هى الحجر الاساسى للعائلة ومن هنا يسلم العقل

والشرع باحتياجهن الى التربية والتعليم الضروريين ديناً ودنيا والدين لم يمنع مطلقاً من ذلك بل حث عليه وأرشد اليه

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم « العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » هذا وما يتعلمه النساء فينقسم الى ثلاثة اقسام واجب ومندوب ومباح فالواجب هو تعلمهن العقايد الدينية والعبادات وحقوق الزوجية والعفة والامانة والصيانة ومن المندوب تعليمهن كيفية معاشرة الازواج وتدبير المنزل وتربية الاطفال والاقتصار فى المعيشة والمعلومات النافعة وما بعد ذلك من نحو الطب والهندسة والحساب الزائد عن اللزوم فهو مباح اى يتساوى فعله وتركه ما لم يكن سبباً لضياع حق من حقوق الزوجية وتفصيلات ذلك فى الكتب والرسائل الخاصة بالعقائد والاخلاق وتعليم الاطفال وتدبير المنزل فليراجعها من يشاء ولندخل فى موضوع الحجاب والتستر حسبما تأمر به الشريعة لأن ذلك هو الغرض الاصلى من وضع هذا الكتاب

الحجاب

« العفة والامانة والحياء »

ان الاحكام الشرعية الجليلة تأمر بمكارم الاخلاق وبالفضائل وتنهى عن سوء الخلق والرذائل فمن الفضائل التى تأمر بها العفة وهى أمانة كل من الزوجين للآخر حتى اذا تمسكا بها كانت سبباً لحسن الامتزاج بينهما وهى فضيلة دقيقة جداً حيث تقتضى أن لا يحصل من احد الزوجين للآخر ما يخدش صداقته ويوجب سوء الظن فيه ولذا كانت عصمته معنوية وأساساً متيناً لروابط الجمعية البشرية وهذه الامانة والصداقة الواجبتان على الزوجين من وقت العقد تزول بلا شك وتختل اذا لم يراع احدهما شروط الصداقة والزوجية . والامانة والعفة والحياء مطلوبة خصوصاً من النساء فقيهن يجب ان تكون اشد مما فى الرجال . وقد اتفق على ذلك جميع الامم مع اختلاف مذاهبهم ومشاربهم . ورد فى الحديث الشريف « الحياء حسن ولكنه من النساء احسن » وهذا برهان جلى على ذلك

ومن المعلوم ان الحياء نوعان اولهما نفسانى وهو الذى خلقه الله تعالى فى جميع النفوس كحياء كل شخص من كشف عورته والوقاع بين الناس . والآخر ايمانى وهو خصلة تمنع المؤمن من ارتكاب المعاصى خوفاً من الله تعالى . وهذا القسم من الحياء فضيلة يكتسبها المؤمن ويتحلى بها وهى ام كل الفضائل الاخرى . فلذلك وجب على المسلمين ان يعودوا بناتهم على الحياء والتخلق بهذا الخلق الذي اختاره الله تعالى لدينه القويم لان عدم الحياء علامة لزوال الايمان . ولا يخفى ما يتولد عن ذلك من العواقب الوخيمة . ولذا اذا خلعت امرأة برقع الحياء او لم تحافظ على هـذه الفضيلة تكون قد ضلت بلا شك عن طريق الصيانة والعفاف وزد على ذلك ان الحكمة الالهية قد اقتضت وضع النسـل فى بطون الامهات فلذا كانت النساء مسؤلات عن هتك حرمة هذا النسل . فاذا كانت امرأة تتخلى عن شيمة الحياء وتتباعد عن سلوك سبيل الصيانة تلوث طهارة العائلة بلا ريب ولا لزوم لذكر المفاسد والمضار التى تنشأ عن ذلك . وعلى هذا قضى العقل والنقل والشرع والطبع فى كل

زمان ومكان بوجوب اتباع كل من الزوجين الامانة التامة التى هى من مقتضيات عقد الزواج وبان يتمسك الزوجان بهذه الفضيلة بكمال الدقة والانتباه حتى ينتفى الشك وتمتنع الوساوس فى طهارة النسب وهذا الحال هو من الضروريات للدين والملك والعمران كما هو مسلم عند الجميع بدون اختلاف وبه يحصل حسن المعاشرة دائماً بالوفاق والائتلاف . ولذا يجب على الرجال ايضاً ان يحسنوا ظنهم ويظهروا امانتهم فى حق زوجاتهم ويجب عليهم ايضاً ان لا يفرطوا فى الغيرة بدرجة تصير سبباً لتكدير القلوب الصافية

روى الامام احمد والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه حديث « اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائكم » ويظهر من هذا الاثر الشريف ان زوجة الشخص وقرينته الدائمة هى جديرة بالاحسان وحسن التعطف وهى اليق بان يبش لها ويمنحها حلاوة اللسان فمن هذا الحديث يستنتج ان من حسُن خلقاً كمل ايماناً وان من كمل ايمانه يكون اخير الناس بحسن رعايته لنسائه . وكذلك اوجب الشرع

على المرأة ان تطيع زوجها طاعة تامة كما يؤيده الحديث الآتى
روى الترمذى عن ابى هريرة رضي الله عنه « لو كنت آمراً
احداً ان يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها » هذا
وان اول شيء يطلبه الزوج من زوجته ويجب عليها طاعته فيه
هو صيانة عرضه وطهارة نسب اولاده الذى يحرص عليه
اكثر من حرصه على روحه . وهذا امر اجمع عليه المسلمون
ولم يختلف فيه اثنان . لانه لا اقبح ولا عار اعظم من عدم
صيانة العرض والغيرة عليه ولذلك اهتم جميع الامم بذلك حتى
لا يكون هناك محل للشك والارتياب ولاستراحة قلوبهم من
الوهم والوسوسة كما ان الدين القويم امر بالحجاب ليكون دواء
شافياً لهذه الادواء وقد تمسك المسلمون به فى كل عصورهم من
ابتداء ظهور الدين المبين لغاية الآن . لأنه يزيد فى ائتلاف الرجل
مع اهله ويؤكد ارتباطه بهم ويستلزم دوام الانتظام فى المعيشة
وبه تحصل الامنية المطلوبة فى العائلة . ولا شك ان الحجاب
انسب طرق الاحتياط والاحتراس كما يعلمه المجربون من الامم
الاخرى . لانه لا يمكن القبض على القوة الشهوانية الغريزية

فى الانسان بطرق التهذيب والتربية . فان كثرة العلوم والمعارف عند النساء لا تمنع التحايل والتلطف لاداء غرضهن بصورة لا تنكر عليهن ولا يقدر على مغالبتهن وربما اتينا على بعض المضرات والمفاسد الناتجة من اعطاء الحرية المطلقة للنساء

الحجاب

اعلم ان الحجاب الشرعى ثلاثة اقسام : الاول ستر جميع اجزاء البدن عن غير المحارم ، والثانى ملازمة النساء بيوتهن وعدم الخروج منها الا لضرورة توجب الخروج ، والثالث ستر العورة

فلنشرع الآن فى ذكر الادلة الواردة فى الكتاب والسنة فى ترغيب النساء الى اقسام الحجاب الثلاثة والى عدم اختلاطهن بالرجال وامتناعهن من النظر الى الاجانب قال الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن

ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذي لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » فبهذه الآية نهى الله سبحانه وتعالى عن نظر الرجال الى النساء ونظر النساء الى الرجال وامرهم جميعاً بغض النظر . والاناث قد دخلن فى الخطاب الاول تغليباً وتأكد دخولهن فيه بالخطاب الثانى بالتخصيص وقد امرهن بعدم ابداء زينتهن وبسترها . والزينة هى الثياب والحلى والقصد منها المحل الذى يكون تحتها . لانه لو كان المراد ذات الثياب والحلى لكان النظر اليها حراماً ايضاً في الوقت الذى لا تلبسها فيه النساء وهذا لم يقل به احد . وبهذه الصورة تعين ان المراد من ابداء الزينة هو ابداء ما تحتها من البدن . وبين الله سبحانه وتعالى الاعضاء المأذون بكشفها للنساء عند الحاجة والضرورة وهو الوجه والكفين التى تمس الضرورة عادة

لاظهارها وفى سترها بعض مشقة فجرت شريعتنا المطهرة على تسهيل المشقات ورفع الحرج بدليل حكم الآية الجليلة « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » لانه لا يمكن للنساء الاستغناء عن الاشتغال بايديهن وعن كشف وجوههن عند الضرورة مثل الشهادة والعقود . فيدل نص الكتاب على احتجابَ النساء وستر جميع بدنهن ما عدا الوجه واليدين عند الحاجة . وفى الآية الكريمة ايضاً « ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين »

فالذى يجب على المرأة التى تخرج من بيتها لحاجة ان تدلى جلبابها على وجهها حتى تستره ما عدا عين واحدة

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة ان يغطين وجوههن من فوق رأسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة » وهذا الحدبث الشريف مفسر لتلك الآية الكريمة

كذلك يستفاد الحجاب بانواعه من هذه الآية «يانساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى» ومن الآية الآتية ايضاً «فاذا سألتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن»

فهذه كلها آيات تثبت قطعياً بصورة لا تدع محلاً للانكار أو التأويل وجوب احتجاب النساء عن الرجال الذين لا يكونون من محارمهن ومنع اظهار شيء من بدنهن امام الرجال الاجانب

اذا علم ذلك فنتقل الى تفسير هذه الآيات الكريمة وتقرير اقوال بعض الفقهاء فى هذه المسائل وأقوال المفسرين فى هذه الآية الشريفة

«قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون»

اى قل يارسولى للمؤمنين أن يحذروا النظر الى المحارم

ويحفظوا فروجهم عن الزنا وعن الاشياء المحرمة كالنظر الى الاجنبية ولمسها . لانّ غض البصر هوهذا وحفظ الفروج هو حسن ايمان وطهارة قلب للمؤمنين . ان الله خبير بما يعملون . اى لا يوجد شيء خفى على الله سبحانه . ومعنى غض البصر هو اما النظر امامه وعدم النظر لحواليه ولا خلاف فى ان غض البصر من أسباب حفظ الفرج ولذا تقدم ذكره عليه فى الآية .
واماتفسير . « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن » اى يارسولى قل للمؤمنات ايضاً ان يحذرن من النظر الى غير ازواجهن . وقال العلماء انه لا يجوز نظر المرأة لشيء من الرجل مطلقاً سواء كان بشهوة او بغيرها . روى ابو داود والترمذى عن ام سلمة : « انه بينما كانت هى وميمونة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه احتجبا منه فقالت ام سلمة يارسول الله هو اعمى لا يبصر فقال : افعميا وان انتما ؟ ألستما تبصرانه ؟
ويستدل بهذا الحديث الشريف على أن المنع مطلق وليس مقيداً بشيء أبداً

« ويحفظن فروجهن » اى يحفظن ذاتهن من الفحش واللمس والنظر الى المحرمات

« ولا يبدين زينتهن » اى يسترن اشياءهن التى هى واسطة الزينة مثل الحلى وغيرها . وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتستر لان هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها الا لمن استثنى فى الآية بعد . ولان امتناع النظر لمواضع الزينة هو بطريق الاولوية . « الا ما ظهر منها » اى ما ظهر بناء على الاحتياج والضرورة . واما جواز كشف الوجه والكفين فقط عند الضرورة فمأخوذ من حديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : « ان اسماء بنت ابى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فقال لها يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهـذا واشار الى وجهه وكفيه » ويستدل من هـذا ان كشف الوجه والكفين للمرأة يجوز عند الحاجة « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » اى فليرخين خمرهن على اطواق قميصهن ومعناه فليسترن بخمرهن قلوبهن وصدورهن

ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » اى لا يظهرن زينتهن لغير اثنى عشر صنفاً وهم الذى سيبينوا فى الآية الجليلة وهم (١) الازواج (٢) الآباء (٣) آباء الازواج (٤) الابناء (٥) ابناء الازواج (٦) الاخوة (٧) بنو الاخوة (٨) بنو الاخوات (٩) حرائر النساء (١٠) المماليك ذكوراً واناثاً (١١) الشيوخ الذين طعنوا فى السن وعدموا شهواتهم ممن كانوا يتبعون النساء لاجل ان يأخذوا فضلات الطعام (١٢) الاطفال الذين لايميزون عورات النساء . ولم يذكر فى هذه الآية العم والخال مع انهما من المحارم اكتفاء بذكر الاب لان العرب كانوا يسمون العم أباً وورد فى الحديث ان الخال أب

« ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » اى لا يضربن ارجلهن على الارض لاجل ميل الرجال اليهن حيث يوهمن الرجال باظهار صوت الخلخال أنهن مائلات اليهم

والقصد منها المبالغة فى التستر . لانه اذا نهي عن اظهار صوت الخلخال فبطريق الاولى ينهى عن اظهار مواضعه

قال الله سبحانه وتعالى « يا نساء النبي لستن كاحـد من

النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وهذا الخطاب لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن ونساء الامة تابعات لهن فيه أيضاً . ومعنى الآية انكن اذا كنتن تتقين وتطعن الله لا تشبهن احداً من النساء الاخر وهن لا يمكن ان يساوينكن فى درجة الفضيلة والعلم . لان اكرمكم عند الله اتقاكم فعند ما تخاطبن الرجال لا تخاطبن بقول لين مطمع ولا بصوت رخيم وبكلام رقيق مثل النساء اللاتى هن مظنة الطمع عند الرجال . حتى لا يجد الرجال السيئو الخلق الذين فى قلوبهم مرض الريب والنفاق طريقاً للطمع فيكن وخاطبنهم بصوت خشن وبكلام حسن متى كانوا بعيدين عن الطمع والارتياب . واسكنّ فى بيوتكن ولا تخرجن منها الا عند اللزوم الشرعى

وقال انس بن مالك رضى الله عنه النساء حضرن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلن يارسول الله ان الرجال حازوا الفضيلة بالجهاد فى سبيل الله أفليس لنا عمل نحن ايضاً

تنال به فضل المجاهدين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن
اذا كانت احدا كن تقيم فى بيتها تدرك فضيلة المجاهدين

« ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » اى لاتخرجن من
بيوتكنّ ولا تمشين كما كان يفعل نساء الجاهلية الاولى . وهنّ
نساء الكفار قبل الاسلام . فانهنّ كنّ يظهرنَ فى اظهارها قباحة .
وكنّ يخالطن الاصحاب مع ازواجهنّ

« واذا سألتموهنّ متاعاً فاسئلوهنّ من وراء حجاب »
اى اذا طلبتم شيئاً من امهات المؤمنين رضى الله عنهنّ اجمعين
فاطلبوه منهنّ من وراء الستار . « ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن »
اى طلب المتاع من وراء الستار هكذا سواء لقلوبكم وسواء
لقلوبهنّ اطهر من ان يحصل سوء الظنّ والريب . وبذا يكون كلّ
منكم بعيداً عن التهم ويقترب الى الحماية ويصير ضميركم طاهراً .
وان هذه الآية الكريمة تتضمن تأديب المؤمنين وتحذيرهم من
المكالمة والخلوة بالنساء اللاتى لسْنَ محرماً لهم . لان التحذير من
المخاطبة والاختلاط بالنساء الاجنبيات احصن للنفس واحسن
واتم لصيانة العصمة . ومفاد هذه الآية الكريمة أن الله تعالى

جل ذكره بالغ فى الاحتياط بخصوص تحجب النساء وامر
الرجال بغض بصرهم عن النساء وامر النساء بغض بصرهن
عن الرجال كما امرهن بستر زينتهن وبطريق الاولى مواضع
زينتهن . واستثنى زينة الوجه والكفين التى فى اخفائها مشقة
حسب الحاجة والعادة . ومع ذلك فاذا خرجن من ديارهن
لقضاء الحاجات وجب عليهن ان يسترن الوجه والكفين وجميع
مواضع الزينة . ولاجل ردع طمع الناس الذين يكونون فاسدى
الاخلاق ومتصفين بسوء الخلق منع النساء من التكلم بصوت
رخيم رقيق ومن ابداء ما يطمع السامع فيهن وامرهن بالتكلم
عند الحاجة بغاية الادب والحياء . ثم منعهن من الخروج من
بيوتهن بدون حاجة . واذا خرجن فلا يتبرجن بين الرجال مثل
نساء الجاهلية الاولى

ناسباً هذا كله الى امهات المؤمنين رضى الله عنهن اجمعين
وتخصيص ذلك بامهات المؤمنين انما هو من باب اطلاق
الخاص وارادة العام

واوجب على الرجال ايضاً اذا طلبوا شيئاً من النساء

ان يطلبوه من وراء حجاب فان الغرض منع مايدعو الى الريب والشبه للمحافظة على طهارة قلوب الرجال والنساء معاً لانه لا يجوز طبعاً تخصيص البعض دون البعض فى الاشياء التى تكون محل الاحتراز .

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات فاذا حاذونا سدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها فاذا جاوزونا كشفناه « وورد فى البخارى ومسلم وابن ماجه والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر يوماً وليلة الا ومعها محرم » وروى فى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عايه وسلم لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها محرم » وورد فى الترمذي مروياً عن ابن عمر فى حكاية خطبة عمر رضى الله عنهما قال « ما خلا رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان » وروى عن الامام على رضى الله عنه فى حلية ابو نعيم انه قال كنت ذات

يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اي شيء خير للمرأة » وسكتنا جميعاً ولما رجعت سألت فاطمة رضى الله عنها فقالت هو « أن لا ترى الرجال ولا يرينها » ثم اخبرت بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « فاطمة بضعة مني » وروي عن ام سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » وورد فى حديث آخر « لا تمنعوا نسائكم المساجد وبيوتهن خير لهن » ويستدل من هذه الاحاديث الشريفة انه يطلب من النساء ان يسترن جميع اجزاء بدنهن عن الاجانب ولا يجوز للمرأة كشف عضو من اعضاء بدنها ما لم يكن معها زوجها او سيدها او محرمها وكذلك لا يجوز نظر المرأة الى الاجنبي او جزء من الاجنبي وبالعكس لا يجوز نظر الاجنبي الى المرأة او الى جزء منها . والحال أن اختلاط الرجال مع النساء فى المجتمعات او غيرها يؤدى لكشف بعض الاعضاء ويجلب المفاسد الاخرى ولذا منع منها الا اذا كانت الحاجة والضرورة تستدعي ذلك . وبما انه لا بأس من اشتراك النساء عند الحاجة فى الاعمال الدنيوية مع ازواجهن

او محارمهن وهذا لا تمنعه الشريعة المطهرة . فلا بأس فى اشتراك
النساء مع ازواجهن فى امور الزراعة وجلب الماء من الينبوع
فى داخل القرية وسوق البهائم الى المرعى وغسل الملابس فى
النهر . لان دين الاسلام بنى على اليسر وتقدر الضرورات
بمقدارها . ويغتفر كشف الوجه واليدين والرجل فى مثل هذه
الاحوال اذا كان الأمن من الفتنة والصيانة موجوداً فيها .
وبنيت احكام الشريعة المطهرة لدرء المفاسد والشر والمضرات
بقدر الامكان

وأما أقوال الفقهاء فى ذلك فقد قال فى متن رد المحتار وحاشيته
« وينظر من الاجنبية الى وجهها وكفيها فقط للضرورة . وقيل
والقدم والذراع اذا اجرت نفسها للخبز وعبدها كالاجنبي معها
فينظر لوجهها وكفيها فقط »

فان خاف الشهوة امتنع نظره الى وجهها فحل النظر مقيد
بعدم الشهوة والا فهو حرام . فهذا فى زمانهم واما فى زماننا
فمنع من الشابة لخوف الفتنة . قال فى التتارخانية وفى شرح
الكرخى النظر الى وجه الاجنبية الحرة ليس بحرام ولكن يكره

لغير حاجة وظاهره الكراهة ولو بلا شهوة . ونقله القهستاني
عن اصحابنا في تفسير الشهوة . . . ثم قال : وقال عامـة العلماء
ان يميل القلب ويشتهي ان يعانقها ولا يبالي بالحرمـة واما في
حق النساء الاشتهاء بالقلب لا غير . وشرط لحل النظر اليها
واليه الأمن بطريق اليقين من ميل النفس الى القرب منها او
منه او المس اوله مع النظر بحيث يدرك الفرق بين الوجه الجميل
الى آخره . . ثم قال ان الشهوة ميله بعد هذا ميل لذة القرب
منه او المس له زائداً على ميله الى الشيء المستحسن لان ميـله
اليه مجرد استحسان ليس معه لذة وتحرك القلب اليه كما في ميله
الى ابنه او اخيه الصبيح» والتفصيلات بهذا الخصوص في سائر
المتون والشروح ليست خارجة عن هذا . وليس في المذاهب
الثلاثة اختلاف مهم يليق بالذكر في هذه المسئلة . وكذا اقوال
واجتهاد أئمة المجتهدين واتباعهم العلماء بخصوص الحجاب وتستر
النساء هي مضمون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة وغيرها
من الآثار الشريفة التي اهملنا ذكرها خوفاً من التطويل .
ومع ذلك ان كل مسلم منصف يشاهد بأن بعض الناس الذين

معلوماتهم ناقصة تلقوا تقييدات وتخصيصات أئمة الدين ورأى بعض المفسرين بهذه الخصوص كالزيادة على النص والنظر الى الوجه والكفين فأزلوها الى درجة الاباحة واكثر طائفة النساء فرحوا من هذا وتزينوا زيادة عن زينتهن فى بيوتهن فى وجههن وجمالهن ومشوا بين الرجال مكتشفات ومتبرجات زيادة عن نساء الجاهلية .

وورد فى شرح المنهاج « ووجهه امام الحرمين باتفاق المسلمين على منع النساء ان يخرجن سافرات الوجوه وبأن النظر مظنة للفتنة ومحرك للشهوة فاللائق بمحاسن الشريعة سدّ الباب » الى ان قال « وللامام منع الناس من المكروه لما فيه من المصلحة العامة » الى ان قال « ان الآية كما دلت على جواز كشفهن لوجوههن دلت على وجوب غض الرجال ابصارهن عنهن ويلزم من وجوب الغض حرمة النظر ولا يلزم من حل الكشف جوازه » وحذراً من التطويل ذكرنا هذا النقل مختصراً

والحاصل ان اقوال علماء المذاهب الاخر ايضاً بخصوص

الحجاب وتستر النساء هى متحدة فى دائرة الاحكام السابق ذكرها آنفاً . ولا شك ان النساء اذا خرجن للمتنزهات والمجتمعات كاشفات الوجوه واختلطن بالرجال وهن لا يقدرن على ان يقاومن الطبيعة البشرية مهما كانت تربيتهن كاملة وتهذيبهن كافياً وخصوصاً الشبان والكهول الذين يوجدون فى المجتمعات والمتنزهات يمشون بقصد مشاهدة جمال النساء وملاحظة الحاظ الحسان ولا شك بان هذه الحالة تفسد الآداب الدينية والتربية الملية الاسلامية وتحدث الفساد بين العائلات وتخل بدوام المحبة وحسن المعاشرة

بقى الكلام مع الناس الذين يعدون مشى النساء كاشفات الوجوه مع التهتك من اسباب الترقيات الملية والحال انه ليس فى شىء منها لان امثال هؤلاء خالطوا الافرنج بكثرة وتحصلوا على العلوم والمعارف فى ديار الاجانب وقطعوا ارتباط عادات ملتهم وقواعد دينهم وهم اصحاب الافكار الجديدة ويرون عند الافرنج حرية النساء ويظنون انها من اركان المدنية . ومع ذلك فان الترقيات الملية انما تكون باشياء مثل العلوم والمعارف والصنائع

والتجارة ولم يدخل الحجاب وتستر النساء فى شيء منها

اية (ما دام) من النساء الاوروپاويات المترقيات بالعلوم والمعارف اخترعت الوابور؟ وايتها اكتشفت السيالة الكهربائية ؟ وايتها اخترعت مدافع مترا اليوز والكروب ؟ وفى اي مدينة غلب النساء الرجال وخدموا الترقيات البشرية ؟

ومن عهد الصحابة رضى الله عنهم اجمعين لغاية الآن توالت مشاهير نساء المسلمين فسيدتنا عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها كانت مرجع الصحابة فى علم الدين واحكام الشرع المبين . فلم لم يمنع التستر والحجاب لكمالات هذه المخدرات البشرية ؟

والحال ان علماء وعقلاء اوروپا يذكرون مضار ومفاسد دائرة الحرية التى وسعوها لنسائهم ولماذا نحن نجتهد فى تقليدهم؟

الرجال فى فرنسا يقضون وطرهم بالعاهرات وتسعة اعشار النساء فيها يعيشون مفترقات عن رجالهن

ورد فى التقويم الفرنساوى المسمى « ترويح النفوس » لسنة ٩٢ من صحيفة ٢٣ لغاية ٢٦ نقلاً عن كتاب احصاء مواليد

البلاد المختلفة للعلامة «كستنر» هكذا :

النساء الخائنات لازواجهن هن فى المائة ٧ فى المانيا و ٦ فى بلجيقا و ٥ فى انكلترا و ٤ فى نمسا و ١ من سدس الواحد فى اليونان وثلثا الواحد فى الصرب والجبل الاسود والبلغار وعشر الواحد فى تركيا سواء كان مسلماً او غيره . ولو حسب المسلم وغيره منفرداً عن بعضها لا شك انه كان يصيب المسلمين واحد من مائة جزء من الواحد وهذا لا شك انما هو ثمرة الحجاب والتستر والادب الملى . وحيث أن الاوروپاويين بسبب اختلاط الجنسين مع بعضهما تكاثر الابتذال فيهم وكأن الرجال استغنوا عن الازواج ولذا تكاثر يوماً فيوماً اولاد الزنا المسمون عندهم باولاد الطبيعة وهذا ثابت بجداول رسمية ومن هذا القبيل ما جاء فى جريدة «المقتطف» وخلاصته هكذا :

احصوا فى اوروپا اولاد الزنا ووجدوا هكذا فى الالف فى ارلاندا ٢٦ وفى روسية ٢٨ وفى هولاندا ٣٢ وفى انكلترا ٤٨ وفى ايطاليا ٧٤ وفى فرانسا ٨٢ وفى اسوج ١٠٠

وفى باوريا ١٤٠ وفى نمسا ١٤٦ والعدد فى هذا القدر هو عدد الاولاد الذين لم يوجد لهم اب مشروع ويجوز ان عدد اولاد الزنا الحقيقيين حالة كونهم منسوبين الى الآباء بحكم المعاشرة يفوق هذا المقدار .

وفى بعض البلاد المتمدنة يبلغ عدد مبتذلات النساء السكارى اللاتى يجمعهن البوليس من الشوارع ليلاً الى عشرة آلاف

ورد فى «مجلة المجلات» بقلم مديرها «جان فينو» ضمن الكلام بخصوص افراط النساء فى الحرية وجرهن المصائب للمدنية قال « اقول بغاية الاسف ان النساء اللاتى هن سبب تهذب اوروبا يصرن بأنفسهن سبباً لهدمها لان عقلاء القوم متحسرون فى انه كيف يقدرون ان يوقفوا جريان سيل هذا البلاء الذى جرف الكمالات الاخلاقية التي هي منشأ عالم التمدن »

وقال العلامة جول سيمون « ان الناس فى سنة ١٨٤٨ كانوا يشتكون من عدم تهذيب وتربية النساء واما الآن فقد انعكس الحال وكل الناس يشتكون من الافراط فى تربية النساء

نعم لاشك انهم انتقلوا من التفريط الى الافراط »

ومثل هذه المقالات رسمية او غير رسمية يوجد كثير
والناس العالمون بلغات اوروپا عالمون هذه المقالات ولذا صرفنا
النظر عن نقل المقالات الكثيرة فى هذا الشأن ولا شك ان
هذه الحالات هي نتيجة اعطاء الحرية بالافراط للنساء بدون
ان ينظر الى وظائف النساء الطبيعية ومقتضيات ضعف خلقتهن

وحقيقة « يوجد عند نساء الاسلام حالات مثل هذه .
ولا شك انه لا يمكن قطعاً لرجل مسلم مهما كان قليل الغيرة
على عرضه ان يرى زوجته ترقص خالعة العذار مع شاب
اجنبي يحضنها او يكون مجبوراً بأن ينتظر زوجته فى غرفة وهي
مختلية مع اجنبي فى حجرتها ويرى انه لا يدخل احد فى هذه
الحجرة غير الشيطان . وبديهى ان النساء المسلمات ما وصلن الى
هذه الدرجة ولا يحتمل ان يصلن اليها ولكن الترقى بالتدريج
فى كل عمل خيراً كان او شراً هو من سنن الطبيعة وحيث انه
اذا تجاوز الحال حدود شريعتنا الشريفة وآدابنا الملية وبعده
لاشك ان لا يوجد حد آخر يصلح الاميال النفسانية ولذا

صار ارجاع الحال الحاضرة الى دائرة الشرع الشريف المعتدلة امراً واجباً لا بد منه

والمطلوب من الرجال بهذا الخصوص هو الغيرة والمروءة ومن النساء هو الصيانة والعفة والحياء . الغيرة فى الرجال شيء مرغوب وممدوح . وورد فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الله يغار والمؤمن يغار » وورد فى الحديث الآخر قال « أتعجبون من غيرة سعد انا والله اغير منه والله اغير منى » وورد فى البخارى مروياً عن ابى هريرة رضى الله عنه « قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيت كأنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب القصر قلت لمن هـذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً » وورد فى الحديث الآخر ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة « وورد فى حديث آخر ما معناه « انى امرؤ يغار وما من امرء لا يغار الا كان منكوسَ القلب »

معنى الغيرة هو الحمية عن الحالات المخلة بالاسم والشرف ومعنى «فان الله غيور» هو يعنى ان الله لا يرضى الفحشاء وهل يتصور فى الدنيا شيء مخل للاسم والشرف فى العائلة اكبر من تمزيق ستارة العصمة والحياء ؟

اذا رأى الشخص امرأة ماشية متزينة متبرجة فى الشوارع او فى المتنزهات فلنفرض انها ليست من اقاربه لكنها لا شك فى انها اخت مؤمن او زوجة مسلم وكلاهما اخ لنا فى الدين . فالنظر الذى يصادفها اولاً مسموح عنه ولكن اعادة النظر اليها مرة ثانية وثالثة هو من ميل القلب اليها وانكار ذلك بالانصاف هو مكابرة فى الحقيقة . وخصوصاً اذا حصل هنا ما بين شاب وشابة هل يبقى احتمال . غير هذا ؟ فلنقطع النظر عن حرمته ديناً وشرعاً فهل يليق لانسان النظر لاخته او لزوجة اخيه فى الدين بنظر سيء ؟ أما يفتكر بقياس النفس أن الناس ايضاً تنظر لزوجته بذلك النظر

ورد فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من نظر الى محاسن امرأة اجنبية عن شهوة صبّ فى عينيه الآنك

يوم القيامة » ومعنى « الآنك » هو الرصاص

وحيث ان النساء فى زماننا مجتهدات جداً بتزيين وجوههن وتحسينها ولهذا اما يجب على كل مسلم متدين بأن يحترز من وعيد سيدنا الرسول الذى هو اصدق القائلين صلى الله عليه وسلم . اما دواء هذه المفسدة فهو عدم مشى النساء فى الشوارع بدون حاجة . واذا اقتضى مشيهن فيه فليمشين مستورات ؛ اذا نظرنا الى الماضى نرى انه فى مدينة استانبول قبل ثلاثين او اربعين سنة اذا ارادت امرأة الخروج الى السوق كانت اولاً تضع خماراً ثم تكفت عليها خماراً من شاش ثخين ابيض ثم تلبس جلباباً طويلاً عريض الياقة من الجوخ فى الشتاء ومن الصوف فى الصيف وبهذه الكيفية ما كان يُرى من محل الزينة الا عينى المرأة التى ترى طريقها بها فقط ومن جلبابها الواسع ما كان يعرف هيئة جسمها ابداً . ومقابل هذه النساء اللواتى كانت ترى فى حالة الادب هكذا كان الرجال ينظرون امامهم ولا يلتفتون لهن . ولو ان آثارها الآن باقية عند بعض النساء العجائز ولكن تبدل شكل الجلباب « الفراجية » ورسمه بالتدريج

وتحول حال الخمار ايضاً وصار رقيقاً حتى صار يريك القبيح جميلا

واما الآن كأن كشف الوجه للنساء مباح يرفعن مناديلهن المقصود منه ستر وجههن على رؤسهن ويعرضن شعورهن حتى رقبتهن وصدورهن لانظار الرجال والتدرج والترقى فى هذا المبدأ المنهتك يصير معاذ الله سبباً لانطفاء نار الغيرة من الرجال ومنشأ لتكاثر الابتذال والمسامحة فى نسائنا . ويصير هذا الحال ضربة مهلكة لحياة الجمعية الاسلامية . بناء عليه نرجو من رجال ونساء المسلمين عموماً حسن القبول لنصائحنا الآتية بهذا الخصوص . وهى :

من المعلوم ان جميع تصرفات الكونية البشرية هى بتعينات الشخصية . فلنضرب مثلا لذلك وهو لاجل ان يصح القول بان هذا الدار هى لزيد بن بكر وهذا الدكان لخالد ابن عمرو يجب ان يتحقق بان زيداً هو ابن بكر وخالداً هو ابن عمرو . وتحقق هذه الاشخاص هو بحفظ الانساب . وطريق حفظ الانساب انما يكون بصيانة العفة . فلذلك كل واحد من الاقوام والامم الماضية لغاية زماننا هذا لا يخلو من الاحتياط

لحفظ نسبه بكيفية وحتى يرى الى الآن بعض الاقوام الغير متمدنة في صحارى افريقا ان الرجال منهم يمشون عاريين عن الملابس ولكن نساءهم يسترون عوراتهن بجلود الحيوانات . وهذا من مقتضيات الفطرة والجبلة كما ذكرناه في المقدمة وثابت بالقياس الصحيح العقلي

وهذا الدين المبين المحمدي قد تمم على وجه الكمال هذا الاحتياط الفطري والجبلي بآداب الحجاب والتستر . وثبت هذا قطعياً وصريحاً بالآيات الجليلة القرآنية وبالاحاديث الصحيحة النبوية التي ذكرناها

وبمقتضى الحديث الشريف «كلكم راع وكل راعٍ مسئول عن رعيته» ان الرجال الذين هم اولياء النساء راعون لعائلاتهم . وخصوصاً أنهم قوّام حماة من قبل الله لزوجاتهم اللاتي هن شريكات لحياتهم فالرجال اذاً مسئولون في الدنيا وفي الاخرة عن اعمالهن سواء الشر منها او الخير يعني كل شخص منهم ذو حصة من أجزاء السيئات المترتبة عند الله وعند الناس المتولدة عن سوء تربية الاولاد والزوجات اوعن اهمال تربيتهم .

وبالعكس ايضاً كل شخص شريك فى الصيت والشهرة الحسنة
بين ابناء جنسه التى تتولد عن حسن سلوك وتربية الاولاد
والازواج . اذا رأينا رجلاً اهمل او سامح امرأة من افراد عائلته
فى شأن الحجاب والتستر يكون معلوماً بالبداهة ان هذه الحالة
نقص لرجل شريف النفس وقلة مروءة سيما واذا نظرنا الى
احوال النساء الخصوصية مثل ضعف الخلقة وقلة الملاحظة نعذر
النساء من استفادتهن عن مسامحة الرجال ونجدهن مقلدات
بعضهن بعضاً حيث هن قاصرات فى ادراك العواقب

بناءً عليه يجب على الرجال ان يتأملوا تربية النساء وحجابهن
الذى هو موضوع البحث فى هذه الرسالة ويتيقظون وينتبهون
عن الغفلة والاهمال المشاهدين فى هذه الازمنة الاخيرة وكل
واحد من افراد الامة يتحتم عليه ذلك لحسن محافظة احكام
الشرع الشريف بالدقة والاعتناء وعلى الخصوص بين عائلته
الذى هو رئيس عليها

واما النساء حيث هن امهات المؤمنين وخالاتهم وعماتهم
وامهات اولادهم واحفادهم فنرجو منهن ان يكن عالمات بالقراءة

كقراءة هذه الرسالة بقصد الوعظ والنصيحة عن لسان الشرع
وليقرأن ويفهمن ذلك لاخوانهن اللاتى لا يعرفن القراءة

يا سيدات : افتكرنَ الالطاف الالهية ونعم الله الخاصة
بكنَّ . وكلكن اولاد وبنات فعلى الواحدة منكن ان تكون
ضامنة لسعادة المنزل والقيام بحسن ادارته وكفيلة اعمار البيت
ودوام بهجته . اولادكن هم أهم باعث لتقدم الملة الاسلامية
الاصلية باخلاقهم الحسنة المتولدة عن حسن تربيتكن وسبب
لعمران دار الاسلام . نحن بطاعتنا الواجبة علينا لكنَّ ايتها
الامهات ننال دعاءكن الخير وانتن اللاتى جاء فيكن الحديث
« الجنة تحت اقدام الامهات » وانتن فى بعض المواضع
مرجحات على الرجال ولكنَّ الفضل . وواحدة من هذه هي
حق الامومة كما ورد فى البخارى انه قال « جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من احق
بصحابتى قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال ابوك » وفى هذا الحديث الشريف اشارة الى
ان الامهات يستحقن البر والشفقة وحسن الصحابة زيادة

عن الآباء

واستدل شراح الاحاديث بان الامهات يستحقن ثلاثة امثال الاحسان والعواطف المستحق لها الاباء بسبب انهن يحملن صعوبات الحمل والوضع والرضاع . ومنها ان بيوتكم مساجد النساء كما سبق ذكر الاحاديث الشريفة المختصة بذلك ومنها الحديث الشريف الوارد فى فضل المجاهدين كما سبق . ان الرجال يتركون دارهم ووطنهم لاجل كسب الثواب والفضيلة ويذهبون الى الجهاد وهناك يبتلون بأنواع المحن والمشقات والحال انتن مبشرات من قبل النبي الرؤف بفضيلة الجهاد وانتن مستريحات فى بيوتكن وتفصيلكن اللباس للمجاهدين وخياطتها وتداركُكن مهمات الجراحات مثل احضار القماش والكتان فتكسبن الاجر والثواب بخداماتكن الخيرية واعمالكنّ الصالحة

ومنها ايضاً نيلكم الاجر والثواب من الله بسبب اعمال النساء المنزلية مثل الخياطة والطبخ . قال صلى الله عليه وسلم لام سلمة «اذا ادت المرأة فريضة ربها واطاعت بعلها وحركت المغزل

فى يدها كانت كانها تسبح وما دام المغزل فى يدها كانت كانها تصلى جماعة واذا طبخت القدر لاجل اطفالها تساقطت ذنوبها» فليتأمل ان السنة السنية بأى كيفية تكرم النساء وتوعدهن بوعد جميل واجر جزيل لترغيبهن بان يلازمن بيوتهن ويشتغلن بامورهن والاشتغال بآلات النسيج مثل الغزل والمغزل يقوم مقام التسبيح . وغلي الحلة لطبخ الطعام يصير سبباً لسقوط الذنوب . وانتن ايتها السيدات لا تعرفن قدر هذه النعم ولا تقتدين بسيدتنا ام سلمة رضى الله عنها بل تقلدن الافرنجيات اللاتى تحشرن باكراً يوم القيامة معهن ألاتخشين أن أجسامكن تغلى كالحلة على نار الجحيم

وخصوصاً هل يليق بالسيدة التى معيشتها وثروتها طيبة وسعيدة بزوجها واولادها ان يكون نظرها خارج بيتها وتزين نفسها وتعرض جمالها على الرجال مسلمين كانوا اوغير مسلمين . لا يوجد ضرورة ومعذرة مافى التزام هذه الحالة لان النساء ثلاثة طبقات : الطبقة الاولى هن الفقيرات المحتاجات للعمل لاجل تدارك زادهن ومعيشتهن او المحتاجة لمعاونة زوجها او

للخدمة فى بيت بالاجرة . وحيث ان الحاجة والضرورة تقدر
بمقـدارها وجواز كشف الوجه والكفين وكشف الذراع عند
الخدمة شرعاً هو من هذا القبيل ليس الا لان هاته النساء
قطعياً خاليات من الزينة والتزين ولذا هن فى الاصل لسن
مطمح نظر الرجال . واما الطبقة الثانية اللاتى فوق هـذه
الطبقة فهن حريمات التجار والصنايعية والمزارعين . وهن
مستغنيات عن العمل فى خصوص الرزق والمعيشة بسبب
ازواجهن . والطبقة الثالثة اللاتى هن حريمات الكبراء والاعيان
الامراء وهن مستغرقات لجميع اسباب الرفاه والنعيم ولذا ان
هاتين الطبقتين لا توجب الضرورة ابداً بأن يمشين مكشوفات
الوجوه . ونظراً لهذا الحال يلزم على السيدات من هاتين
الطبقتين ان يستعملن اسباب الزينات والتجملات فى بيوتهن
اللاتى تلن هذه الخيرات فى ساحة ازواجهن ويظهرن زينتهن
بين السيدات اللاتى هن من اقرانهن وامثالهن ولا يجوز قطعاً
تبخترهن وتبرجهن لاجل ان يظهرن أنفسهن للرجال فى
السوق وخصوصاً فى المنتزهات بكيفية تفتن الرجال بجمالهن

حتى الكهول منهم والشبان

اذا كانت سيدة بنت مسلم وهى مسلمة هل يليق بها ان لا تقلد سيدتنا عائشة وفاطمة وسائر امهات المؤمنين ونساء الاصحاب الكرام رضى الله عنهن ومخدرات الاسلام العفيفات وسلفهن الصالحات اللاتى هن جداتنا وجدات جداتنا بل تقلد نساء الافرنج فهل هـذا يليق بالغيرة الاسلامية ؟ وهل يليق لسيدة مسلمة أن لا تعمل فى امر الحجاب والتستر بأحكام الشرع بل تعمل بقول الخياطات والبائعات الافرنجيات اللاتى يدخلن فى البيوت مستحضرات كل يوم بزى وكل ساعة باشكال من الزينة فقط لترويج بضائع الافرنج ؟ واذا كان يوجد احد من ازواجكن لا يرضى عن هذه الحالة اما يكدر صفو معاشرتكن ؟ واذا كان منهم من يسكت عن هذه الحالة او لا يعلمها أليست ضمائركن متألمات تفتكر دائماً بالعقوبة الآجلة الالهية ؟

وها انا قد وفيت ما يجب من النصيحة بالبيان والتفصيل الذى تحرر لغاية هذا الامر . واذا كان الرجال ونساء المسلمين

الذين هم يحبون الدين والملة يعتنون ويهتمون بالمحافظة على آداب شريعتنا وملتنا يكونون ممدوحين ومأجورين فى الدنيا وفى الآخرة . والله يهدينا جميعاً الى طريق الهداية والسداد . آمين

وانتهى تحرير هذا فى اليوم السادس والعشرين من محرم الحرام سنة ثمانية عشر وثلاثمائة بعد الالف نهار الجمعة بمصر

وانتهت ترجمته فى غرة ذى الحجة سنة ثمانية عشر وثلاثماية بعد الالف يوم الخميس بمصر

وقف على تصحيحه ومراجعة طبعه الشيخ أحمد عمر المحمصانى

